يتزوّد منها بنظرة وداع، واعتصر الألم صدره، ودمعت عيناه، وبكت من حوله الهاشميات، ونساء الأنصار اللاّتي اجتمعن آسيات. وكان عمر في الحاضرين ... فلعلّه حيئذاك خشي أن يزيد ندب النسوة في تفطّر قلب نبي ا، فصرخ فيهنّ يزجرهنّ زجراً عنيفاً ليقلعن عن التفجّع والنشيج. لكنّ الرسول ردّه عنهنّ برفق، وهو يقول: «مهما يكن من العين والقلب فمن ا والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان»[927]. فكفّ عمر وفاضت الأدمع عسى أن تطفئ حرف الشجن ولواعج الفراق. * * * وظلّت الشمس تغيب لتبزغ، وتبزغ لتغيب، وظلّ كوكب الأرض يدور في فلكه ويدور، وظلّ موكب الزمن يسير ... فلا حركة الحياة تبطئ أو تتوقّف لموت إنسان، ولا هي تنشط ويستخفّها السير لمولد إنسان. ويوم فقد النبي ولده «إبراهيم» بعد يوم الفرقان ببضع سنين، وانطفأت بموته البسمة الحلوة التي كانت ترفّ على ثغر الزمان، وغيّب الثرى[928] وجه الصغير الذي كان أُنساً وسلوىً لأبيه، كما غيّب قبله وجوه إخوته وأخواته أجمعين إلاّ َ الزهراء، يومذاك تبدّت آية من آيات ا كاد يفتن بها الناس. فلقد وافق موت «إبراهيم» كسوف الشمس واختناق ضوئها عن الوجود، فإذا فريق من المسلمين يحسبون كسوفها صورة لحزن نبيّهم على فقيده الحبيب انعكس على صفحة السماء، وإذا هم يردّدون عندئذ: انكسفت الشمس لموت «إبراهيم»! ورقأ[929] محمد بعض دمعه، وغالب شجوه على فتاه، ثم وقف في أصحابه يقول: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات ا، لا تُخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا